

المركز الجامعي مرسلّي عبد الله - تيبازة -

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

د/ غماري فوزية

المحاضرة الأولى:

1-مقدمة

في الكتابات العلمية والأكاديمية نجد مصطلحات متعددة تستخدم بطريقة متبادلة وهي:

الفحص النفسي Examen psychologique

التقييم النفسي Evaluation psychologique

الحوصلة النفسية Bilan psychologique

التقرير النفسي Rapport ou compte rendu psychologique

الاستقصاء Investigation

الأسئلة الأساسية حول موضوع الفحص والحوصلة النفسية

1- ما هو مفهوم الفحص وما هي الحوصلة النفسية وما الفرق بين كل هذه المصطلحات؟

2- ما هي أخلاقيات الحوصلة النفسية؟

3- ما هو مصدر طلب الحوصلة النفسية؟ العميل، الطفل، المراهق، الأولياء، قريب، طبيب،

معلم...؟ (المدرسة-الوالدين- الطبيب)

4- من يقوم بإجراء الحوصلة النفسية؟

5- ما الهدف منها؟

6- كيف يتم إجراء الحوصلة النفسية من الطلب إلى تجميع النتائج وتقديمها restitution؟

7- ما هي الوسائل المستعملة؟

2- مفهوم الحوصلة النفسية

تعرف الحوصلة النفسية بأنها تقييم إكلينيكي معمق للتوظيف النفسي العام للشخص ما، ويقوم به أخصائي نفسي بواسطة أدوات نفسية مختلفة ثبتت صحتها ومصداقيتها مثل الاختبارات واسبيانات بهدف جمع معلومات موضوعية عن العميل.

وتتعدد أهدافها حسب الوضعيات العيادية التي تم معاينتها فقد يكون الهدف:
-تقييم الذكاء والقدرات المعرفية إذا تعلق الأمر بالتوجيه المدرسي أو بتشخيص سايكاتري... إلخ

- المساعدة في تشخيص الاضطرابات النفسية وشدتها
-المساعدة في فهم العميل وتوظيفه النفسي العام كشخصيته، نقاط القوة والضعف فيه، صعوباته، نوعية حياته، محيطه.

-المساعدة في توجيه التدخل العلاجي أي ما هو العلاج المناسب للعميل.
-تقييم نتائج العلاج وما هي الجوانب التي تحسنت والتي لم تتحسن وما هو مستوى وشدة التغير.

-المساعدة على التنبؤ حول تطور العميل.

3- أخلاقيات الحوصلة النفسية

تتمثل الأخلاقيات العامة للفحص والحوصلة النفسية في ضرورة إعلام العميل أو المتقدم للفحص والحصول على موافقته بعد شرح دواعي الحوصلة ومحتواها والهدف منها وكيفية إجرائها.

إن الأخصائي النفسي العيادي هو الوحيد الذي ينفرد بعملية الحوصلة النفسية Bilan psychologique في المؤسسات التي يقوم بتدخلاته في إطارها، فالمعاناة النفسية للطفل والمراهق لا تكون معلنة ويتم التعبير عنها غالبا عن طريق الأعراض في المجال المدرسي مما يدفع الوالدين إلى طلب الحوصلة النفسية . وقد تكون هذه الأعراض عبارة عن صعوبات تعلم أو اضطرابات سلوكية... وبالتالي تصبح الحوصلة عبارة عن وساطة لفهم ما يحدث لدى الطفل وحيث تلعب اختبارات الفعالية efficience دورا هاما في الكشف عن قدرات الطفل على متابعة الدراسة، كما أن طمأنة الطفل حول قدراته قد يكون ذو دور تحفيزي له بعد أن أدت مواقف الفشل التي عاشها الطفل إلى فقد ثقته بنفسه وظهور ردود أفعال اكتئابية. ومن جهة أخرى لا يمكننا إجراء الحوصلة بطريقة منتظمة لأن ذلك قد يكون غير مجدي وخطير في بعض الأحيان ، لأن أهمية الحوصلة مرتبطة بطبيعة الطلب الذي نحاول الإجابة عنه. فمثلا عندما تطلب العائلة تدخلا علاجيا فلا يمكن أن نجيب عن هذا الطلب بحوصلة نفسية.

لقد قام (1949) Lagache بتأسيس علم النفس الإكلينيكي بفرنسا حيث كاد أن يقابل الطريقة الإكلينيكية بطريقة الاختبارات أو القياس النفسي وحيث بدأ التمييز بين السيكوتقني والنفساني العيادي، وقد ساهم المنهج العيادي في وضع أسس الفحص النفسي بحيث لا يتم التركيز على نتائج الاختبارات فحسب بل الأخذ بعين الاعتبار الشخص في كليته.

ويعد مصطلح الفحص النفسي المصطلح التاريخي الذي اعتمد كل من "بنيه" و"سيمون" بالموازاة مع الطريقة البيداغوجية والطريقة الطبية، و تم بعدها اعتماد تسميات مختلفة كالفحص، التقييم، الاستقصاء، الحوصلة.... ويعتبر مصطلح الحوصلة في نظر العديد من العياديين مناسبا جدا لأنه يعبر عن نتيجة عملية ما. ومع ذلك نجد أن (1991) Anzieu

يحتفظ بالتمييز بين الفحص والحوصلة حيث أن الفحص يشمل مختلف المراحل التي يقوم بها المختص العيادي في حين أن الحوصلة هي خلاصة ما جمعه في نهاية الفحص. وبالتالي لا بد من التقيد بالمبادئ الأخلاقية المرتبطة بعملية الحوصلة أو الفحص النفسي حيث تعتبر (1997) Emmanuelli أن الحوصلة لا تهدف إلى إعطاء نتائج على شكل حاصل ذكاء QI أو تشخيص سايكاتري فحسب وإنما تبحث من أجل فهم دقيق للشخصية مما يسمح بالكشف عن خصوصية كل فرد وبالتالي فإن استعمال الاختبارات يتطلب احترام القواعد الأخلاقية. وهنا تؤكد (2001) Samacher أن استعمال الاختبارات والاستبيانات دون أن يكون الشخص المعني قد طلبها بطريقة مباشرة وصريحة قد يجعله في موضوع معرفة دون تفاعل أو مشاركة، وبالتالي لا بد من تجنب السيطرة والتسلط من خلال الإصغاء والحوار والانفتاح بمعنى أن الإصغاء ليس مساءلة و لا بد من التقيد بما يطلبه المفحوص.

Selon Samacher (2001) L'usage de tests et de questionnaires , sans que le sujet soit le demandeur direct, peut le mettre en position d'objet de connaissance sans échange et sans retour ...il s'agit d'éviter toute domination en adoptant une position d'écoute, de dialogue d'ouverture introduisant un questionnement : Ecouter n'est pas interroger . cela suppose à se restreindre à ne pas aller au delà de la demande du sujet.

وباعتبار أن الطفل والمراهق على حد سواء لا يطلبان الحوصلة النفسية، بل يكون مصدرها المعلم، الطبيب، المربي.. أو الوالدين، فمن الضروري القيام: بمقابلة من يطلبون فحص الطفل وسؤالهم عما يريدون من خلال طلبهم والتعمق في ذلك.

كما أنه من الضروري أن نشرح لهم أسباب مقابلتهم وهل هم موافقون على إجراء الفحص وهذا غير كاف.

لا بد أن نذهب بعيدا ونكلم الطفل أو المراهق عن صعوباته ونقول له مثلا "سوف نحاول أن نبحث سويا لنفهم ماذا يحدث" لنربط بين طلب الحوصلة الصادرة عن الوالدين بحاجة الطفل لفهم مشكلته التي يعيشها دون أن يتحكم فيها.

4-الفحص النفسي أو الفحص الإكلينيكي

غالبا ما يتم الخلط بين الفحص وتطبيق الاختبار، فهو عملية ملاحظة في لقاء حقيقي، لذلك فإن عملية فحص الفرد هي دائما ملاحظة آنية وحالية للسير النفسي لذلك الفرد. ويعتبر André Rey المنظر الأول والمطبق لهذه التقنية منذ مؤلفاته الأولى في 1958 حيث ركز على الخاصية السريعة للفحص كوسيط Relais للوصول إلى معرفة المفحوص، فالتعرف على الشخصية ولو كانت مستقرة نهائيا عن طريق الوسائل التقليدية للملاحظة هي عملية طويلة وشاقة.

إن الفحص النفسي هو وسيلة سريعة ولا تتعدى أجالا زمنية معينة من أجل نتيجة أكثر عمقا وهذه تعتبر الخاصية الأساسية للفحص مما يفسر فائدته ومبرراته بحيث يمكن تجميع مادته في بضع دقائق أو بضع ساعات.

الفحص النفسي هو ملاحظة شخصية يمارسها الفاحص على المفحوص وهي قصيرة المدى ومكثفة *courte et intense* ، وهنا لا بد من التمييز بين الملاحظة المختصرة والمكثفة للفحص النفسي والملاحظة الأكثر يسرا وراحة كما هو الحال في المجال الإكلينيكي و البيداغوجي، فلا يمكن تمديد التجربة لفترة طويلة لأن الفحص النفسي يتأثر بفترات انخفاض التركيز والجهد العصبي للفاحص ودون شك لدى المفحوص أيضا. وعليه يتطلب الفحص النفسي اللجوء إلى وسائل مدعمة لعملية انتباه الفاحص بتسهيل التسجيل وتنظيم مجموعة من الظواهر وبالتالي يمكنه اللجوء إلى الاختبارات، حيث تتميز هذه لأخيرة بتقنين التعليمية *Standardisation* والتي تسمح بتحرير انتباه الفاحص وتسهل له عملية تسجيل التغيرات الطارئة في سلوك المفحوص، فعندما نقوم باستثارة سلوك ما عن طريق الاختبارات فإننا نثري الملاحظة بمعطيات جديدة قد يطول انتظارها في لقاء بالصدفة. ويبقى فعل الملاحظة المكثفة عنصرا أساسيا في الفحص، إذ يمكن استبدال الاختبارات بفعل تجريبي آخر لا يتطلب تعييرا *Etalonnage*، حيث أن كثافة الملاحظة تبقى كافية لتعريف الفحص بما يتطلبه من جهد إيجابي لتصنيف المشكلات في زمن محدد. الخلاصة أن الاختبارات هي وسيلة لتكثيف الملاحظة مما يتطلب توازنا بين اختيار الاختبارات التي تدعم الملاحظة وطبيعة المعطيات التي نريد استكشافها والزمن الذي بيد الفاحص.

ويمكن القول أن عملية التقنين الخاصة بالاختبارات تحمل معنيين:
-الأول أن تكون إجراءات إعداد الاختبار وصياغة بنوده وطريقة تقديمه وأسلوب تصحيحه موحدة في كل المواقف بحيث تكون تدخلات الفاحص في أضيق الحدود.
-الثاني أن يقنن الاختبار على عينة ممثلة للمجتمع الذي يستخدم فيه بهدف الحصول على معايير معينة ، تحدد معنى الدرجة التي يحصل عليها الفرد وكيف تفسر هذه الدرجة وفقا لتشتت درجات أفراد المجتمع على الاختبار كما هو في اختبارات الذكاء.